جماليات التربية الموسيقية ودورها في عروض مسرح الطفل

م.م. سعيد مهدي شاه مراد

المديرية العامة لتربية الكرخ / الأولى

معهد الفنون الجميلة للبنين/ الدراسة الصباحية

Saeedbawi69@gmail.com

الملخص:

يعد مسرح الطفل واحدا من اهم المجالات الفنية التي تسهم في بلورة شخصية الطفل وتعلمه لما له من قيم ثقافية ومعرفية وحسية ذوقية تقدم أحيانا مع الموسيقى، لابدّ وان ينمي ذائقة الطفل من نواحي التربية الموسيقية، إذ ترتبط القيم الفنية التربوية بعناصر مشتركة ترتبط ارتباطا مباشر في تثبيت تلك القيم بسبب سهولة الحفظ والتذكر، وعليه لابدَّ أن تكون تلك القيم متوازية مع مقدرة الطفل الذهنية والحسية لتتناغم مع ذاته وشعوره لتحفيز مدركاته العقلية. ومن هذا المنطلق يتطرق البحث الى دور التربية الموسيقية وفق مفاهيمها الجمالية الفنية في عروض مسحر الطفل، اذ تناول البحث عدة مواضيه هي: (التربية الموسيقية ودورها الجمالي)، و(مفهوم مسرح الطفل ووظيفته التربوية)، وقد خلص البحث الى جملة من الاستنتاجات، منها ان هناك دور مهم للتربية الموسيقية باعتبارها وسيلة أساسية لتربية الطفل والاسهام في تنمية ذائقته وتطوير فكره، كما ظهر ان أغاني الأطفال او الأغاني الشعبية هي احد الوسائل المهمة في تنمية ذائقة الطفل وتربيته الموسيقية وتعليمه، وتبين أيضا ان مسرح الطفل من اكثر الفنون التصاقا بحياة الانسان لا سيما الأطفال لما يمتلكه من قنوات تعبيرية تفوق ما يمتلكه أي فن آخر.

الكلمات المفتاحية: (التربية الموسيقية، مسرح الطفل).

Aesthetics of musical education and its role in children's theater performances

Saeed Mehdi Shah Murad

General Directorate of Karkh Education / First

Institute of Fine Arts for Boys/morning study

Abstract:

hildren's theater is one of the most important artistic fields that contribute to the crystallization of the child's personality and learning because of its cultural, cognitive, and gustatory sensory values, which are sometimes presented with music. It must develop the child's taste in aspects of musical education, as educational artistic values are linked to common elements that are directly linked to establishing These values are due to the ease of memorizing and remembering, and therefore these values must be in parallel with the child's mental and sensory ability to be in harmony with himself and his feelings to stimulate his mental perceptions. From this standpoint, the research addresses the role of musical education according to its artistic aesthetic concepts in children's magic shows. The research addressed several topics: (musical education and its aesthetic role), and (the concept of children's theater and its educational function). The research reached a number of conclusions, including There is an important role for musical education as a basic means of raising a child and contributing to developing his taste and developing his thought. It has also been shown that children's songs or popular songs are one of the important means of developing a child's taste, musical upbringing and education. It has also been shown that children's theater is one of the

arts most closely linked to human life. Especially children, because it has more expressive channels than any other art.

Keywords: (musical education, children's theatre).

المقدمة:

يرى الفيلسوف والمربي الأمريكي جون ديوي ان التربية هي الحياة، وهي عملية تكيف ما بين الفرد وبيئته، اما هربت سبنسر فيرى أن التربية هي إعداد المرء لان يحيا حياة كاملة، وبالتالي تنشئة فرد قادر على التاعمل مع مجمل متغيرات الحياة، وحقل التربية الموسيقية واحد من الحقول التربوية المهمة، اذ يرتبط بتدريس الموسيقى وتعلمها، بكونها فنا جماليات يرتبط باحساس المتلقي او المتعلم، وتطوير مهارته الفكرية والحركية والمعرفية، والذي تسعى اليه التربية الحديثة في تهذيب وتثقيف ومساعدة الطفل تحديدا على اشباع رغباته وتحقيق ذاته، وتنمية ذائقته ووعيه. وباعتبار الموسيقى وسيلة تربوية فاعلة في هذا الجانب، كونها تنحو منحا تطبيقيا فاعلان ومن هنا جاء دور مسرح الطفل وبرزت أهميته بوصفه وسيطا تربويا يجمع بين اللعب والتربية، ويحقق خبرات تربوية تراكمية ومنتظمة، لما يتضمنه من مقومات فنية فاعلة في تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها، بدأ بمرحلة رياض الأطفال مرورًا بباقي المراحل لأن الارتباط بالموسيقى يعد مكونًا أساسيًا للثقافة والسلوك الإنساني.

ان ما يقدمه مسرح الطفل من قيم ثقافية ومعرفية وحسية ذوقية تقدم مع الموسيقى في الغالب، لابدّ وان ينمي ذائقة الطفل، إذ ترتبط القيم التربوية مع الإحساس الموسيقي من خلال عناصر مشتركة تحمل الأهمية نفسها،، بل وترتبط ارتباطا مباشر في تثبيت تلك القيم بسبب سهولة الحفظ والتذكر.

ولأهمية موضوع التربية الموسيقية المرتبطة بمسرح الطفل ودوره وهدفه التربوي والفني، وما يترتب عليها من انعكاسات ترتبط بذوق المجتمع من جهة وميول الطفل الحسية من جهة أخرى، يجد

الباحث ان هناك حاجة ماسة لوجود دراسة علمية اكاديمية تبحث في هذا المجال وتسلط الضوء عليه.

أهمية البحث: يعد إضافة معرفية جديدة للمكتبة العربية والعراقية بشكل خاص، من خلال تقديمه آراء ومعلومات جديدة بوصفه مصدراً يضاف إلى مصادرها، كما يمكن الإفادة منه من قبل المختصين في المجال الغنائي والموسيقي بشكل عام وبصورة خاصة الطلبة والمؤسسات والدوائر والكليات والمعاهد ذات العلاقة.

هدف البحث: الكشف عن دور التربية الموسيقية في عروض مسرح الطفل.

التربية الموسيقي: تعرف التربية بصورة عامة على انها "عمليّة التكيّف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، وهي ايضا عمليّة تضم الأفعال والتأثيرات التي تستهدف نموّ الفرد في جميع جوانب شخصيّته، وهي كذلك العمل المنسَّق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات، وتكوين الإنسان، والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدى الحياة".

(العمايرة، ١٩٩٩م، ص٤٣)

ويعرف الباحث التربية الموسيقية اجرائيا بانها: عملية نقل المهارات المعرفية المتعلقة بالفن الموسيقي بجميع جوانبها التطبيقية العلمية النظرية والعملية للمواد المختلفة الى الطالب، لتطوير مهاراته الفكرية وذائقته الحسية والفكرية.

مسرح الطفل: يعرف بانه " العروض التي يقدمها ممثلون بالغون او محترفون او هواه او فنانو مسرح الدمى للصغار سواء في المسارح او القاعات المسرحية " (الخفاجي، ١٩٨٤م، ص٦٣)، ويعرّف بأنه "مسرحيات يكتبها مؤلفون ليقدمها ممثلون من اجل جمهور الأطفال" (محمد، ١٩٨٦م، ص١٣).

ويعرف الباحث مسرح الطفل اجرائيا بأنه: مصطلح يطلق على العروض المسرحية المقدمة الى الأطفال، بهدف امتاعهم وتعليمهم في ذات الوقت.

الإطار النظري:

أولا: التربية الموسيقية ودورها الجمالي:

في لغتنا العربية تعرف كلمة التربية بأنها مصدرا للفعل (ربى)، فنقول مثلا ربى الولد، أي أنشاه، فجعله يربو أو ثقفه أو أدبه، وتقول العربي أيضا ربى الشيء أي نماه أو زاده، وبهذا المعنى فان تربية الطفل تعني تنشئته وغرس كل القيم والمفاهيم التي درج عليها المجتمع او العلم، بغية تكوينه وتحصينه بالمعارف والمبادئ والعلوم وغيرها لكي يكون قادرا على اخذ دوره الإنساني في تطوير ذلك المجتمع، ويرى الفيلسوف الألماني أمانويل كنت ان التربية هي ترقية لجميع أوجه الكمال التي يمكن ترقيتها في الفرد، وما الموسيقى الا واحده من اهم الوسائل التي درج على اعتبارها فنا وعلما، تهدف الى ترقية المجتمع والوصول به الى الكمال، اذ ارتبطت بحياة الأنسان منذ القدم تلبية لمتطلباته الحياتية، في مختلف الحضارات الإنسانية، كونها فنا وعلما خصصت له قواعد وأصول، فأصبح لُكل بلد وشعب موسيقاه وغنائه الخاص الذي يميزه عن باقي الشعوب الأخرى، اذ يمثل جانبه التعبيري والجمالي، المعبِّر عن الجوانب الوظيفية المتعددة الدينية والدنيوية في الحياة الاجتماعية التي يمارسها الانسان في الحضارات الانسانية المختلفة وعلى مرِّ العصور، فهي "صورة من صور التعبير، ونتجت من فعل الاعضاء الصوتية تحت تأثير العواطف، وبارتقاء وسائل التعبير عند الانسان ظهرت أهمية الفنون واصبح للموسيقى كيان كفن، فكانت ترتبط بالكلام وتساند الدراما والاشعار" (الصبّاغ، ١٩٥٦م، ص١٤٧)، وقد اكتسبت الموسيقى والغناء في الحضارات القديمة اهمية واهتمام لما تحمله من تأثير كبير على الانسان، ففي حضارة وادي الرافدين كانت تقدم ضمن الأعياد والمناسبات الدينية طقوس تجمع بين الموسيقى والدراما من خلال مجموعة من الأناشيد والرقصات التي تؤدى بمرافقة الموسيقى، وكان للتعليم الموسيقى دور مهم في بلاد ما بين النهرين، فأن الاهتمام بأعداد المغنين ورفع مستواهم الفني في العراق القديم تعكسة لنا النصوص السومرية منذ نحو ثلاثة آلاف عام، اذ يظهر من خلال تلك النصوص السومرية وجود نوعان من المدارس الموسيقية، الدينية الخاصة بالمعبد والدنيوية المرتبطة بالقصر الملكي، وكانت طرائق وأساليب التعليم

في المدارس، او "مناهج الدراسة فيها تنطلق من معرفتهم السابقة ودرايتهم بتأثيرات الألحان والإيقاعات في النفس البشرية ، ويظهر أن مدارسهم الموسيقية أو التعليم الموسيقي فيها كان يعتمدعلى التلقي الشفاهي عن طريق السماع فقط" (طارق، ١٩٩٠م، ص٥٧ –٥٩)، أما العرب فارتبطت الموسيقى لديهم في العصر الجاهلي بالصيغ الغنائية، واقتصرت مهمتها على مرافقة أداء المغني أو التعبير عن الشعر الغنائي من خلال صياغة الألحان، وبعد ظهور الاسلام، لم تسهم الظروف في تشجيع وتطوير الفنون بشكل عام والموسيقى بشكل خاص، إلا أن الدولة الإسلامية في العصر الأموي، وبما شهده الامتداد الاسلامي واحتكاكه بالشعوب الأخرى التي أتاحت فرصة معرفة فنونها وثقافاتها من خلال الفتوحات التي نتجت عنها ثورة ثقافية نضجت في أواخر العصر الأموي لتحول الموسيقى من الظاهرة الفطرية إلى ثقافة مكتسبة، فتطلبت المرحلة الجديدة دراسة علمية للألحان، والعزف المنفرد وتقنياته، فضلاً عن معرفته بالشعر، وفي العصر العباسي بلغت الموسيقى أوج عظمتها بعد أن أصبحت بغداد عاصمة أكبر دولة امتدت حدودها من الصين حتى الأندلس، فضلاً عن كونها موطناً للعلم والفن والأدب فعم الرخاء، وتحرر الفكر، وأخذت الموسيقى مكانتها فناً رفيعاً، فبرزت أسماء الموسيقيين الكبار مثل (إبراهيم الموصلي، وإسحاق الموصلي، وزرياب)، الذين عدوا نموذجاً للفنان الذي يجله المجتمع ويقدر إبداعه، "وبسبب المكانة التي حظيت بها الموسيقى في العصر العباسي ونتيجة لهذا أنشأت معاهد خاصة للتعليم الموسيقي، وصارت الموسيقى إحدى العلوم المهمة، إذ برزت المؤلفات والرسائل العلمية في تحليل الموسيقى من قبل العلماء والفلاسفة المسلمين" (وبوزورث، ١٩٨٨، ص٣٦٠).

اما في العصر الحديث فقد اخذت مكانة التربية الموسيقية دورا مهما لدى المجتمعات المتحضرة باعتبارها وسيلة أساسية لتربية الطفل والاسهام في تنمية ذائقته وتطوير فكرهأ فانشات المعاهد والمدراس المتخصصة في التعليم الموسيقي، والتي من اهم أهدافها:

١. تحسين الأنماط السلوكيه وتنمية الشخصية.

٢. نقل التراث الثقافي من الأجيال اللاحقه بغية تعزيزه وتنميته والمحافظة عليه.

٣. اكساب الطفل ومهارات فنية واجتماعيه مختلفة نابعه من قيم وعادات وتقاليد المجتمع.

٤. تضفي على الطفل النشاط والحيوية و تساعده على استيعاب بقية المواد الدراسية.

٥. تعالج بعض الأمراض النفسية وحالات الانطواء والعزلة والنواحي العقلية المختلفة.

٦. تكسب الطفل الثقة بالنفس وتخلق الألفة وروح التعاون عن طريق العزف الجماعي.

كما من المهم في هذا المجال التطرق الى أغاني الأطفال او الأغاني الشعبية كاحد الوسائل المهمة في تنمية ذائقة الطفل وتربيته الموسيقية وتعليمه الموسيقة باعتبارها من وسائل اللعب لديه، او هي اللغة الام للطفل، وفق ما يؤكد الموسيقي والتربوي المجري سلطان كوداي، مشددا على أن يتم اكتسابها في سن الطفولة المبكرة بنفس النمط الذي يتعلّم به الطفل كيفية الكلام، وهذا أيضا ما يشدد عليه الكثير من التربويين الموسيقيين سواء ممن تبنّوا أفكار كوداي أو من الذين انتهجوا نهج مدارس أخرى في التربية الموسيقية ، إلا أن أهمية الغناء في الطفولة ودور أغنية الطفل يكاد لا يختلف عليه أحد منهم، وعند مراجعة النظريات المتعلقة بالغناء عند الأطفال، نجد أن العديد منها تتحدث عن ازدياد تطوّر دماغ الطفل أثناء الطفولة مع تعلّمه الغناء والموسيقى، "فقد أكد هودجز في دراسته لدماغ الطفل على أن تطور الدماغ الموسيقي يتبعه تطور جيني في الدماغ يليه تطور في تعلّم الخبرات، لكنه يشير أيضا الى ان ذلك التطور يصبح أضعف إذا ما تأخرنا في تعليم الطفل للغناء" (الشرقاوي، وآخرون، ٢٠١٢م، ص٧٥٤)، إذ إن يمتاز الغناء بعناصر شائقة ومحببة إلى نفوس الأطفال، وتهدف أغنية الطفل في مرحلة الطفولة إلى تحقيق وظيفتين: الأولى تربوية والثانية فنية، وتعتبر تنمية الوعي الاجتماعي والقومي والديني واكتساب الطفل المعارف المختلفة من أهم الوظائف التربوية للأغنية وللموسيقى بشكل عام، فخدمة المواد الدراسية الأخرى، وبث روح التعاون، وتعويد الطفل على التفكير وتصريف طاقاته، كلها أهداف تندرج تحت النوع الأول من الوظائف، أما تنمية

الإدراك الحسي والذوق الموسيقي، وتنمية مهارات السمع وتعريف الطفل بعناصر الكتابة الموسيقية، والكشف عن استعداداته ومواهبة الموسيقية، فتندرج نحو النوع الثاني من الوظائف.

إن العناصر الموسيقية كالايقاع، واللحن، وغيرهان هي جزء أساس في العملية التعليمية او التربوية الموسيقية، والتي يتم تناولها او ملاءمتها للطفل تكون على وفق تناول كل عنصر من هذه العناصر:

١. **الإيقاع (rhythm):** هو العنصر الأول من عناصر الموسيقى، وهو النبض المنتظم الذي يقاس به الزمن، أي أنه كل ما يتعلق بالجانب الزمني للصوت الموسيقي، وشعورنا بهذا الإيقاع هو شيء فطري وغريزي، لذلك يُعدُّ اكثر العناصر تأثيرا في الفنون، ويمكن القول إنه تنظيم الأصوات الموسيقية المكوِّنة لأي لحن إلى وحدات زمنية متساوية، وبالتالي فإن الموسيقى تعتمد على التكرار في الإيقاع، هذا التكرار يساعد على تتبع الخُطى التي يسير عليها الإيقاع ضمن إطاره الزمني، والحال نفسه في الموسيقى والأغاني الملائمة لتعليم الأطفال، فإن الإيقاع يرتبط مباشرة بالإحساس الزمني الذي تسير عليه أغنية الطفل وموسيقاه. إن استخدام الأوزان البسيطة تساعده على استيعاب الصيغ الإيقاعية، كما أن الإيقاعات المعروفة والمتداولة في بيئة الأطفال شيء أساس في موسيقاهم، وبما أن الإيقاع هو تنظيم زمني لحركة اللحن، وينسجم معه لتكوين القطعة الموسيقية أو الغنائية فإن الطفل يبدي "استجابة ظاهرية عندما يسمع الموسيقى أو الغناء، نراه يتحرك بفرح غامر مع المصاحبة بالتصفيق والخبط بالأقدام والدوران حول نفسه على أنغام وإيقاع الموسيقى" (حسين، ١٩٨٦، ص٤٧)، كما يخلق الإيقاع أثراً جمالياً في البنية الموسيقية المُقدمة للطفل؛ لأنه يضفي على كل مقطوعة موسيقية أم غنائية انسجاماً زمنياً، وهذا ما جعل الإيقاع العنصر الأول في الموسيقى التي تخاطب الطفل على وجه الخصوص، فضلاً عن ذلك فإن له قدرة في تهذيب حس الأطفال تجاه الموسيقى، مما يجعلهم أكثر اندماجاً في ألعابهم الإيقاعية حين يرددون الأغاني والجمل الملحنة ذات الإيقاع ضمن حركاتهم وألعابهم.

٢. اللحن (Melody): يُعدُّ اللحن أحد عناصر الموسيقي الاساسية سواء تجسد من خلال الصوت البشري أو من الآلات الموسيقية، ولكل لحن مداه الذي يُحدّد بأعلى واخفض نغمة، ويدرك اللحن وفكرته الاساسية "من خلال تتابع الأنغام الصادرة عن مصدر صوتي، وعلى غرار ما نتبادله من افكار عن طريق اللغة في جمل مفيدة فإن الموسيقيين ينقلون الينا مضامين نتاجاتهم عن طريق الالحان المصحوبة بالكلمات أو بدونها" (ميسم، ٢٠١٨م، ص ١١٥). والإنسان يتأثر بالموسيقى فيشعر بعنصر الإيقاع ويستمع بالخط اللحني (النغم) الذي يتحول إلى معان وتعبيرات يفهمها بحسب نوعية العمل الموسيقي، وبهذا فإن الصوت الموسيقي انبثق من الطبيعة، إلا أن الإنسان طور هذا الصوت ووظفه في أُمورهِ الحياتية، اما في موسيقى الطفل فإن عنصر اللحن يعتمد على تصورات معينة من أجل الوصول إلى ترابط موسيقي جمالي قبل طرحه إلى الطفل كمؤدٍ أو متلقٍ على حدٍ سواء، هذه التصورات تكون على النحو التالي:

- اختيار النغم المناسب: فهو من العوامل المؤثرة في موسيقى وأغاني الطفل وبنسب كبيرة.
- اختيار الشكل الموسيقي الأنسب.
- المحافظة على المسافة الزمنية للكلمة أثناء صياغتها لحنياً في حالة الغناء.

يضاف الى ما تقدم فان عنصر الأداء في الموسيقى يدخل أيضا كعامل مهم في عملية التكوين الفني المُقدم للطفل الذي يتلقاه بسمعه وأحاسيسه وفهمه، اذ إن الأداء يكتمل فيه كل عمل موسيقي وغنائي يُقدم للطفل الذي يعده وسيلة من وسائل الدلالة والتوضيح التعبيري.

ثانيا: مفهوم مسرح الطفل ووظيفته التربوية.

تعد مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في حياة الفرد، اذ يتم فيها بناء شخصيته المرتبطة بالمجتمع والبيئة من خلال اشباع رغباته وميوله وحاجاته، فهي اللبنة الأولى لحياة الطفل التي تبقى اثارها على شخصية الفرد وانماط سلوكه وعاداته وتقاليده وميوله واتجاهاته، فالطفولة عالم واسع مختلف الاشكال والالوان، ورغم هذه السعة اللامتناهية إلا أن أطفال العالم رغم اختلاف بيئاتهم ومستوياتهم

الثقافية وطبيعة حياتهم اجتماعيا وماديا، يمرون بذات النفسية منذ الصبا حتى البلوغ، "وكلما تقدم الطفل في العمر ازدادت علاقته بالمحيط من حوله وازدادت معها متطلباته، ولعل أهمها هي الحاجات التربوية والنفسية التي تعينه على فهم ما حوله وكيفية التعامل معه" (الباجلان، ٢٠١٧، ص٦٦)، اذ ان سنوات الطفولة تعد الأساس لتوجيه قوى الطفل واستعداداته المختلفة ووضع أسس التربية الاجتماعية والأخلاقية والبيئية السليمة والعادات الاجتماعية البناءة وغرس العواطف السامية، من خلال وسائل متنوعة ابرزها الحكايات التي تروى للطفل سواء من خلال ذويه، او ما يشاهده في الوسائل المرئية والمسموعة المختلفة، فالحكاية المعبرة والهادفة والسلسة وما تحتويه من الطرفة والفكاهة والاغنية، تكون عاملا محفزا في قدرة الطفل على التخيل وتصور الأشياءوما المسرح وفنونه المختلفة ومنها مسرح الطفل الا من تلك الوسائل المهمة التي تسم في تنمية خيال الطفل وقدراته الذهنية والذوقية والجمالية وتأصيلها لديه. ويعد مسرح الطفل شكلاً أساسياً من أشكال المسرح والفن بشكل عام، كونه من اكثر الفنون التصاقا بحياة الانسان ومن اكثرها اثارة للاهتمام بسبب قدرته الهائلة في التأثير على الجمهور، لا سيما الأطفال لما يمتلكه من قنوات تعبيرية تفوق ما يمتلكه أي فن آخر. و يحدد قاموس "إكسفورد" مصطلح مسرح الطفل بأنه "عروض الممثلين المحترفين أو الهواة للصغار سواء على خشبة مسرح أو في قاعة معدة لذلك، كما يحدده معجم المصطلحات الدرامية بأنه "المكان المهيأ مسرحيا لتقديم عروض تمثيلية كتبت وأخرجت خصيصا لمشاهدين من الأطفال. وقد يكون اللاعبون كلهم من الأطفال" (عبد المنعم، ٢٠٠٧م، ص١٥). والمسرح هو أحد الفنون التي يعشقها الطفل فهو يعبر عما بداخله من مشاعر. وهذا الفن حين يمارسه الطفل لا يكون لتمضية وقت تسلية فقط وإنما يظهر ذوق وفن الطفل من خلال شكل الدمية التى سيصنعها من حيث تناسق ألوان الملابس، كذلك الإبداع فى ابتكار الحوار ما بين الدمى، وهذا يثرى مخزونه اللغوى والفكرين فضلا عن التنوع الصوتي والأداء المعبر، والمسرح في أبسط تعريفاته هو احد أشكال التعبير والتواصل الفنية التي ابتدعتها العقلية الإنسانية، للتعبير عن الواقع، وهو مزيج من

المتعة الجمالية والعاطفة والانفعال والتوتر الذي يصيب المشاهد، وهو يحتل جزء مهما من حياة الناس واهتمامهم منذ اكتشافه وحتى الوقت الحاضر، اذ يحمل عدة توصيفات ومهام ووظائف ووسائط وتأثيرات في توجهه الى الطفل، فالطفل يعتمد على مجموعة من الوسائل التعبيرية التي يشترك فيها السمعي والبصري والسيكولوجي بالحدس، كما انه لا يعتمد اللغة المنطوقة فحسب، وانما يستمد شمولية خطابية من هذا التعدد اللغوي بمختلف خصائصه التعبيرية، لأن المسرح الجيد يتخطى الجانب الترفيهي الى المعرفة التعليمية والإمتاع على أساسات التربية الحديثة. "وللمسرح أهمية كبيرة في تعزيز وتقوية شخصية الطفل وتحقيق ميوله وحاجات النفسية ومعالجة مشكلاتها الانية ورسم صورة مستقبلية وردية تدفع الى ان تكون متفاعلة مع الحياة ومندمجة فيها وتحفزها على حب التطور وعدم التقوقع في محيطها والانكماش على ذاتها" (الباجلان، ٢٠١٧، ص٦٥)، ومسرح الطفل بشكل خاص يتمتع بهيكلية فلسفية ذات سياسات مبرمجة على وفق أهدافه الخاصة والمختلفة عن باقي أنواع المسرح، وتأتي قوة هذه الهيكلية على وفق تخطيط منظم وشامل بضرورة وأهمية مسرح الطفل تربوياً، وتعليمياً، ونفسياً، كونه "مترجما حقيقيا لسلوك الطفل واشباع حاجاته الأساسية ويعطي النموذج والمثل والقدوة، كما يمد الطفل بطلاقة الخيال وبالقابلية للتشكيل والاستعداد للاندماج وبالقدرة على المحاكاة والاحساس الجمالي والاستجابة النفسية والابداعية لما يشاهده، من مشاهد متنوعة وزاخرة، حيث انه وسيلة راقية ومؤثرة في الطفل، وهذا التأثير سبب ان المسرح يتلاحم مع الطفل في الحوار والمضمون، اذ يجعل له خزينا من الكلمات والجمل التي تساعده على التعبير في الكلام" (الأهواني، ٢٠١٥، ص٣٠)، ويمكن القول إن مسرح الطفل هو مسرح متخصص للأطفال، بأبعاده، وجوانبه الفنية، وأساليبه العملية وتقنياته العلمية، على وفق رؤية علمية وجمالية واجتماعية، تأخذ بنظر الحسبان المراحل العمرية وتدرجها في مدة الطفولة، وكذلك الأخذ بقدرات الأطفال وتفاوتها في الفهم والاستجابة والإدراك.

أهمية مسرح الطفل: مع تطور العلوم والدراسات السيكولوجية ظهرت أهمية المسرح في نمو الطفل جسمياً وعقلياً واجتماعياً، وازداد اهتمام المسؤولين والمربين بنشاط المسرح من خلال ربطه باللعب التلقائي والمخطط، كوسيط هام و أساسى للنمو المتكامل للشخصية ولذلك دعت منظمة اليونسكو إلى ضرورة الاهتمام به، ودعمه ماديا ومعنويا باعتباره مكملا لبناء الطفولة الصحيحة، وتشكيل ثقافة الطفل من خلال تلقيه بلغة محببة القيم والأفكار بسهولة ويسر. وهذا الدور، وتلك الأهمية ترتكز على العديد من النظريات النفسية التي أكدت أهمية دور الواقع الثقافى المحيط بالطفل، حيث أن بناء الشخصية وتكوين الذكاء والقدرات العقلية إنما هو انعكاس للواقع الثقافى المحيط بهم. كما أن حاجة الطفل إلى التعبير الأدبي وقدرته على التذوق قدرات يمكن أن يكتسبها الطفل. ويحدد البعض وظيفة مسرح الطفل فى عدد من العناصر أو الوظائف وهي:

- الوظيفة التعريفية : أى نقل المعلومات إلى الطفل ،مخطط حركى ومؤثرات بصرية وصوتية.
- الوظيفة التربوية : وهى أحد أدوات بناء وترسيخ القيم السائدة والمستهدفة.
- الوظيفة الترفيهية : حيث يمكن أن يكون المسرح وسيلة لإسعاد الطفل والترفيه عنه.

لقد أظهرت الدراسات الحديثة أن قدوم الأطفال إلى المسرح واستخدامهم لحواسهم المختلفة هو مفتاح التعلم والتطور وبدون هذا الاستخدام يعاق التعلم والنمو، من هنا تنبع أهمية المسرح التربوى والنشاطات التمثيلية التي يمارسها الأطفال في بداية حياتهم، لأن هذه الأنشطة تساعد على تنمية شخصية الطفل وإعداده لفهم العالم من حوله. وقد أشار كثير من الباحثين إلى أهمية المسرح التربوي، اذ لا تقتصر أهميته كوسيلة للتعلم، بل يمكن أن ينمي عند الطفل القدرة على اتخاذ القرار، وللمسرح كذلك دور بارز وفعال فى إعطاء خبرات قد تعجز الأساليب التربوية الأخرى فى إعطائها، حيث أن التجربة المسرحية تجعل الطفل أكثر إحساسا بأفكار الآخرين وشعورهم والعواطف التي تطرح في داخلهم. من هنا ادرك المسرحيون أهمية اثر العرض المسرحي للطفل، فراحوا يعملون وفق حاجة الطفل ومتطلباته الاجتماعية والنفسية ليتم من خلال ذلك خلق العلاقات الاجتماعية والثقافية

بين العرض المسرحي والجمهور ليحقق كل منها غاياته، وعلى ضوء هذا الفهم بإمكان المسرح التفاعل مع قضايا الطفل وواقعه بشكل خلاق يجعل العرض المسرحي مساحة للوعي والثقافة والتجدد وإضافة القيم.

وعلى هذا الأساس فان لمسرح الطفل جملة من الأهداف كونه محفزاً للسلوكيات الإيجابية ومحفزاً لقدرات الطفل المهارية التي تؤثر على عملية التربية والتنشئة الصالحة، منها:

- يساعد الأطفال على تفهم واقعهم.
- احترام المثل النبيلة والالتزام بها.
- غرس أهم القيم والأخلاقيات الصحيحة، وغرس جماليات التذوق لعدد من الفنون بشكل عام كالفنون الموسيقية والإيقاعية والتشكيلية وفنون التصميم، فضلاً عن أدبيات الحوار والصوت والإلقاء.
- يسعى لاكتشاف مواهب الأطفال العديدة.
- يعمل على تحقيق الذاتية والاستقلالية ونمو الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية بأكبر قدر ممكن.
- دفع الطفل للتذكر والتفكير والتخيل، وتنمية القدرة على الحوار وإبداء الرأي واحترام الآخرين.
- تنمية غريزة حب العمل والمشاركة الجماعية واحترام الآخرين وتقبل آرائهم.

(الهيتي، ١٩٧٨، ص٣٠٤)

وهكذا يسهم مسرح الطفل بدور كبير في إضفاء معنى للثقافة في حياة الطفل اليومية وفي المستقبل، اذ انه يوفر لهم بعض المفاهيم الأساسية لكل جانب من جوانب الحياة، وبهذا يكون نقطة ارتكاز مهمة في نقل ادب الأطفال وما يتضمنه من قيم واتجاهات فاضلة بطريقة واضحة لاعتماده على حاستي البصر والسمع، فضلا عن تضمنه الخبرات وتنظيمها سواء اتخذت تلك الخبرات من المدرسة ام من خارجها من اجل اكسابهم إياها لتحقيق نموهم الشامل في جوانب شخصياتهم جميعا وتعديل

سلوكهم. وعليه يمكن أن نتحدث عن مجموعة من القيم التي لابد أن يغرسها المسرح في الأطفال ومنها:

القيم النظرية: وهذه القيم هي تعبير عن اهتمام الأطفال وميولهم لاكتشاف الحقائق والمعارف من أجل تحقيق توازن بين الأشياء على أساس ماهيتها، ويتميز سلوك هذه الفئة في هذه القيم بالاتجاه الفكرى العقلى والتجريبي والنقدي.

القيم الاقتصادية: يتميز الأطفال بهذه القيم من ناحية الاهتمام النفعي فيحرصون على جمع الألعاب المركبة بالنسبة للطفل واعتبارها ملكاً خاصاً بهم.

القيم الجمالية: يهتم الأطفال بالناحية الجمالية فيما يحيط بهم، فهم ينظرون إلى ما حولهم نظرة التنسيق والتأليف الشكلى ولا يقتصر هذا الجانب على الفنانين الذين يتعاملون معهم، بل يمتد إلى كل المعلمين والمتذوقين للفن والمهتمين به.

القيم الدينية: يتمسك الأطفال بالمبادئ الدينية التي يتم غرسها بواسطة أولياء الأمور أو المدرسة، ويسعون إلى كسب رضى الله، ويحرصون على أن يكون سلوكهم دائماً قدوة طيبة.

القيم الاجتماعية: يهتم الأطفال بأقرانهم ويحبونهم ويميلون إلى مجالستهم ومساعدتهم، فهم ليسوا أنانيين أو انفعاليين بل يتسم سلوكهم بالمرونة.

ومن هذه المنطلقات وجد علماء التربية في استجابة النفس البشرية للغناء وتأثرها به فرصة عظيمة يمكن استغلالها في مجال تعليم الأطفال، وعن طريق مسرح الطفل تحديدا، ذلك ان الطفل تستيقظ مداركه على الغناء وتظل تصاحبه في سنواته الأولى مما يجعل تأثره به اكثر من أي شيء آخر، ويعد العراق من البلدان الرائدة في نتاج العروض المسرحية للطفل في منطقتنا العربية، "ويعود نشاط ودور مسرح الطفل في العراق الى مدينة الموصل، وبدأ بالعروض المدرسية... وكان هدف هذه المسرحيات ذا صفة تربوية وثقافية واخلاقية، فضلا عن انها ساعدت على نشوء المسرح العراقي، ثم انتقلت الى بغداد" (الجابري، ٢٠٢٠م، ص٢٢٠، ٢٢١)، مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وفي

الخمسينيات ظهرت تجربة المخرج (عبد القادر رحيم) ليخرج مسرحيات للأطفال أكثر نضجا من سابقاتها تناولت المواضيع التربوية والأخلاقية بلغة فصيحة مبسطة مع استخدامات بسيطة أيضاً للأغاني الشعبية المتداولة آنذاك. ومنذ الستينات بدأت تجارب الفنانين والفرق الفنية المحترفة في انتاج مسرحيات الأطفال، اذ اهتم المثقفون من ادباء ومخرجين ومؤلفين موسيقيين بهذا النوع من المسرح، وقدمت عروض مسرحية متخصصة كان اغلبها يحمل تسمية مسرحية الأطفال الغنائية، ومنها في عام (١٩٦٨) حيث تم تقديم مسرحية (علاء الدين والمصباح السحري) والتي تُعد من أوائل مسرحيات التي يؤدي أدوارها ممثلون محترفون وبحضور الأطفال أنفسهم، وقد كان للموسيقى والغناء حضور متميز، الأمر الذي كان سبباً في استمتاع الأطفال (علي، ١٩٩٩، ص١٦٣)، ثم توجهت المؤسسة العامة للسينما والمسرح آنذاك للعناية بمسرح الطفل ليثمر عن هذا التوجه والاهتمام تقديم مسرحية (على جناح التبريزي) للكاتب المصري الفريد فرج عام ١٩٦٩ كأول عرض معني بالأطفال، قدمته الفرقة القومية للتمثيل وقد استُخدمت الموسيقى والأغاني فيها بشكل بسيط يتناسب مع قلة الإمكانيات المتاحة والكوادر الموسيقية لهذا العرض. وقد كان لدار ثقافة الأطفال محاولات واضحة في تطوير مسرح الطفل وجعله بالصورة التي تتفق مع ميول الأطفال ورغباتهم من خلال عرض مسرحيتي (الوردة والفراشة) و(الفرارة الطائرة) عام (١٩٧٢)، وقد لعبت الموسيقى والأغاني والإيقاعات دوراً بارزاً من خلال تمازجهما بفكرة المسرحيتين التي حاولت فيها الأولى تعميق الكراهية في قلوب الأطفال لكل صور الاعتداء والعدوان، والفكرة الثانية التي انطلقت من الواقع إلى عالم الأسطورة بالرغم من اكتسابها الطابع التعليمي خلال سير أحداثها، بعد ذلك تبنت المؤسسات الرسمية الحكومية مسرح الطفل من خلال إقامة مهرجانات مسرحية ابتداءً من (١٩٧٢)، قُدمت خلالها "عروض مسرحية متنوعة يغلب عليها طابع الموسيقى والغناء" (عبد الحميد، ٢٠٠٦م، ص٦٢)، ومن التجارب الرائدة التي أكدت استخدام الموسيقى والغناء بأسلوب المرح والخفة كانت تجربة (منتهى محمد رحيم)، عام (١٩٨٠) في مسرحية (البنجرة الصغيرة) إذ "استُخْدِمَتْ الأغاني والموسيقى

في توصيل نهجها التعليمي والترفيهي بأسلوب شعبي" (زيد، ٢٠٠٣م، ص٣٥)، وقد شهد فترة الثمانينات والتسعينات انحساراً واضحاً في عروض مسرح الطفل على مستوى الكم والنوع مع وجود تأثيرات سياسية مرحلية اضعفت المستوى الفني للكثير من العروض، على الرغم من وجود بعض العروض التي تميزت بمستوى فني متقدم، ومنها مسرحية (قطر الندى والسنافر السبعة) التي كان للموسيقى والغناء دور مهم وفاعل في سيرها جنباً إلى جنب مع الحدث المسرحي والفعل الدرامي. وبشكل عام ان تجربة مسرح الطفل الغنائي في العراق قد اسفرت عن نتائج مهمة وفاعلة، يمكن اعتمادها اساساً لبناء مسرح الطفل بشكل عام ومسرح الطفل الموسيقي والغنائي التعليمي بشكل خاص.

الاستنتاجات:

١. ظهر ان الموسيقى واحده من اهم الوسائل التي درج على اعتبارها فنا وعلما، تهدف الى ترقية المجتمع والوصول به الى الكمال، لارتباطها بحياة الأنسان منذ القدم تلبية لمتطلباته الحياتية، في مختلف الحضارات الإنسانية.

٢. ان للتعليم الموسيقى دور مهم في الحضارات العراقية القديمة، عكسته النصوص السومرية منذ نحو ثلاثة آلاف عام، والتي بينت الاهتمام بأعداد المغنين ورفع مستواهم الفني ووجود نوعان من المدارس الموسيقية، الدينية الخاصة بالمعبد والدنيوية المرتبطة بالقصر الملكي.

٣. تبين وجود دور مهم للتربية الموسيقية لدى المجتمعات المتحضرة في العصر الحديث باعتبارها وسيلة أساسية لتربية الطفل والاسهام في تنمية ذائقته وتطوير فكره فانشات المعاهد والمدراس المتخصصة في التعليم الموسيقي.

٤. ظهر ان أغاني الأطفال او الأغاني الشعبية هي احد الوسائل المهمة في تنمية ذائقة الطفل وتربيته الموسيقية وتعليمه الموسيقة باعتبارها من وسائل اللعب لديه، او هي اللغة الام للطفل.

٥. اكدت النظريات المتعلقة بالغناء عند الأطفال ازدياد تطوّر دماغ الطفل أثناء الطفولة مع تعلّمه الغناء والموسيقى، يتبعه تطور جيني في الدماغ يليه تطور في تعلّم الخبرات، يصبح أضعف إذا ما تأخر تعليم الطفل للغناء.

٦. تعتبر تنمية الوعي الاجتماعي والقومي والديني واكتساب الطفل المعارف المختلفة من أهم الوظائف التربوية للأغنية وللموسيقى بشكل عام، فضلا عن خدمة المواد الدراسية الأخرى، وبث روح التعاون، وتعويد الطفل على التفكير وتصريف طاقاته.

٧. إن العناصر الموسيقية كالايقاع، واللحن، وغيرهان هي جزء أساس في العملية التعليمية او التربوية الموسيقية، حيث يخلق الإيقاع أثراً جمالياً في البنية الموسيقية المُقدمة للطفل؛ لأنه يضفي على كل مقطوعة موسيقية أم غنائية انسجاماً زمنياً، وهذا ما جعل الإيقاع العنصر الأول في الموسيقى التي تخاطب الطفل على وجه الخصوص.

٨. اما عنصر الأداء في الموسيقى فيدخل أيضا كعامل مهم في عملية التكوين الفني المُقدم للطفل الذي يتلقاه بسمعه وأحاسيسه وفهمه، ويعده وسيلة من وسائل الدلالة والتوضيح التعبيري.

٩. تعد سنوات الطفولة الأساس لتوجيه قوى الطفل واستعداداته المختلفة ووضع أسس التربية الاجتماعية والأخلاقية والبيئية السليمة والعادات الاجتماعية البناءة وغرس العواطف السامية.

١٠. ان مسرح الطفل هو شكل أساسي من أشكال المسرح والفن بشكل عام، كونه من اكثر الفنون التصاقا بحياة الانسان لا سيما الأطفال لما يمتلكه من قنوات تعبيرية تفوق ما يمتلكه أي فن آخر.

١١. ان مسرح الطفل يعد مترجما حقيقيا لسلوك الطفل واشباع حاجاته الأساسية ويعطي النموذج والمثل والقدوة، كما يمد الطفل بطلاقة الخيال وبالقابلية للتشكيل والاستعداد للاندماج وبالقدرة على المحاكاة والاحساس الجمالي والاستجابة النفسية والابداعية لما يشاهده.

١٢. ان قدوم الأطفال إلى المسرح واستخدامهم لحواسهم المختلفة هو مفتاح التعلم والتطور وبدون هذا الاستخدام يعاق التعلم والنمو، من هنا تنبع أهمية المسرح التربوى والنشاطات التمثيلية التي يمارسها الأطفال في بداية حياتهم.

١٣. لا تقتصر أهميته المسرح التربوي كوسيلة للتعلم، بل يمكن أن ينمي عند الطفل القدرة على اتخاذ القرار، وللمسرح كذلك دور بارز وفعال فى إعطاء خبرات قد تعجز الأساليب التربوية الأخرى فى إعطائها.

١٤. ان تجربة مسرح الطفل الغنائي في العراق قد اسفرت عن نتائج مهمة وفاعلة، يمكن اعتمادها اساساً لبناء مسرح الطفل بشكل عام ومسرح الطفل الموسيقي والغنائي التعليمي بشكل خاص.

التوصيات:

١. يوصي الباحث بتأسيس مراكز خاص لدراسات الطفولة ، وأنشاء مكتبة سمعية ومرئية ، بغية الارتقاء بالطفولة وخلق بيئة مناسبة لحياة الطفل.

٢. يوصي الباحث الدوائر الرسمية ذات العلاقة بالعمل على تنظيم مسابقات سنوية في مجال مسرح الطفل، وذلك لاستقطاب المواهب الفنية الرصينة وابرازها بشكل لائق، بغية تنمية هذا الفن الرصين.

٣. الاهتمام باغاني الطفل العراقي من خلال المهرجانات المسرحية، أو من خلال القنوات التلفزيونية أو البرامج التوعوية.

المقترحات:

١.إجراء المزيد من الدراسات عن كل ما يتعلق بالفنون المقدمة للطفل

٢.إجراء دراسة تحليلية مقارنة لمختلف الطرائق الفنية الموسيقية وفنونها المختلفة.

المصادر :

١. الأهواني، رباب. (٢٠١٥). دنيا العرائس ترجمة لسلوك الطفل ووسيلة لإشباع حاجاته. عمّان: شبكة الاعلام العربية.

٢. الباجلان، ميادة. (٢٠١٧م). مسرح الطفل- جماليات التربية والتعليم واللعب. بغداد: مكتبة الفتح.

٣. حسين قدوري. (١٩٨٦م). أغنية الطفل في العراق. مجلة الموسيقى العربية. بغداد: مطبعة الغد، ع٦.

٤. الخفاجي، محمد حسين. (١٩٨٤م). سيكولوجية ميول الأطفال القرائية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

٥. الشرقاوي، صبحي، واخرون. (٢٠١٢م). دراسة تطبيقيّة لاستخدام الأغنية في إكساب طفل الروضة مفاهيم جديدة. مجلة الوتيرة، ع٣٩.

٦. الصباغ، صالح عبدون. (١٩٥٦م). الثقافة الموسيقية. القاهرة: العالمية للطباعة والنشر.

٧. طارق حسون فريد. (١٩٩٠م). تاريخ الفنون الموسيقية، ج١ ، بغداد: مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر.

٨. علي عبد الله. (١٩٩٩م). دراسات موسيقية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

٩. العمايرة، محمد حسن. (١٩٩٩م). التربية والتعليم في الأردن منذ العهد العثماني حتى عام ١٩٧٧. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

١٠. محمد بسام ملص. (١٩٨٦م). النشاط التمثيلي للطفل. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

١١. ميسم هرمز توما. (٢٠١٨م). عناصر تكوين الموسيقى والغناء، منظور بحثي. بغداد: الفتح للطباعة والنشر.

١٢. الهيتي، هادي نعمان. (١٩٧٨م). أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه). بغداد: دار الحرية للطباعة.

١٣. وبوزورث، شاخت. (١٩٨٨م). تراث الإسلام. تر: محمد زهير السمهوري وزملائه، الكويت: (د.ن).

١٤. الجابري، وليد حسن. (٢٠٠٨م). الخصائص اللحنية والإيقاعية في الأغنية البغدادية لعقد الستينيات (دراسة تحليلية). رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.

١٥. زيد سالم سليمان. (٢٠٠٣م). الوظيفة الدرامية للموسيقى في عروض مسرح الطفل العراقي. رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.

The References:

1. Al-Ahwani, Rabab. (2015). The world of brides is a translation of a child's behavior and a means to satisfy his needs. Amman: Arab Media Network.
2. Al-Baghlan, Mayada. (2017AD). Children's Theater - The aesthetics of education and play. Baghdad: Al-Fath Library.
3. Hussein Qaddouri. (1986AD). Children's song in Iraq. Arab music magazine. Baghdad: Al-Ghad Press, p. 6.
4. Al-Khafaji, Muhammad Hussein. (1984AD). The psychology of children's reading tendencies. Baghdad: House of General Cultural Affairs.
5. Al-Sharqawi, Sobhi, et al. (2012AD). An applied study of using song to teach kindergarten children new concepts. Al-Watira Magazine, p. 39.
6. Al-Sabbagh, Saleh Abdoun. (1956 AD). Musical culture. Cairo: International Printing and Publishing.

7. Tariq Hassoun Farid. (1990AD). History of Musical Arts, Part 1, Baghdad: Dar Al-Hekma Press for Printing and Publishing.

8. Ali Abdullah. (1999AD). Musical studies. Baghdad: House of General Cultural Affairs.

9. Al-Amayra, Muhammad Hassan. (1999AD). Education in Jordan from the Ottoman era until 1977. Jordan: Dar Al-Masirah for Publishing, Distribution and Printing.

10. Muhammad Bassam Malas. (1986AD). The child's acting activity. Baghdad: House of General Cultural Affairs.

11. Maysam Hormuz Touma. (2018AD). Elements of music composition and singing, a research perspective. Baghdad: Al-Fath Printing and Publishing.

12. Al-Hiti, Hadi Noman. (1978 AD). Children's literature (philosophy, arts, and media). Baghdad: Freedom Printing House.

13. Bosworth, Schacht. (1988AD). Heritage of Islam. Trans: Muhammad Zuhair Al-Samhouri and his colleagues, Kuwait: (D.N.).

14. Al-Jabri, Walid Hassan. (2008AD). Melodic and rhythmic characteristics in the Baghdadi song of the sixties (Analytical study). Unpublished master's thesis in musical sciences, College of Fine Arts, University of Baghdad.

15. Zaid Salem Suleiman. (2003AD). The dramatic function of music in Iraqi Children's Theater performances. Unpublished master's thesis), College of Fine Arts, University of Baghdad.